١ـ مصر

أ ـ مصر خلال الحرب العالمية الأولى :

وقعت مصر تحت الأحتلال البريطاني منذ عام ١٨٨٢ . وقد هيأت الحرب العالمية الاولى فرصة أمام هذا الأحتلال ليشدد قبضته على مصر . فأعلنت سلطاته الاحكام العرفية في مطلع تشرين الثاني عام ١٩١٤ . ولما دخلت الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا والنمسا ضد الحلفاء ، فرضت بريطانيا نظام الحماية على مصر في كانون الاول عام ١٩١٤ ، وقطعت آخر العلاقات التي تربطها بالدولة العثمانية .

لجأت بريطانيا تحت ستار ظروف الحرب الى فرض قيود شديدة على الحريات ، فوضعت رقابة على الصحف ، ومنعت الاجتماعات العامة ، وقامت بحملة اعتقالات واسعة اسفرت عن زج اعداد كبيرة من المواطنين في السجون والمعتقلات ، واعدمت عدداً آخر دون اجراء تحقيق معهم او محاكمتهم .

واتخذت بريطانيا من مصر قاعدة حربية مكنتها من تجهيز حملات ضد فلسطين وسوريا ، وارغمت المصريين على القتال الى جانبها ، كما سخرت العمال المصريين في تعبيد الطرق ، وحمل التموينات ، ومد سكة حديد سيناء . وقد وصل عدد هؤلاء في أواخر الحرب الى قرابة مليون رجل ، كانوا يؤخذون قسراً بحجة انهم متطوعون . ولقي كثير منهم حتفهم في سوح القتال ، بينما أصيب آخرون منهم بامراض وعاهات اقعدتهم عن العمل .

لم تكن سيطرة بريطانيا على مصر تقتصر على الناحية السياسية فحسب، بل تعدتها الى سيطرتها على الناحية الاقتصادية. فلما اندلعت الحرب العالمية الاولى شددت بريطانيا من قبضتها على الاقتصاد المصري، فعمدت الى ما يشبه مصادرة المحاصيل الزراعية والمواشي والدواب، إذ استولت عليها باثمان بخسة، وابتزت اموالاً طائلة من المصريين بحجة انها تبرعات للصليب الاحمر البريطاني، وكانت تؤخذ بالترغيب تارة وبالتهديد تارة اخرى.(١)

ومن جهة اخرى ادت الحرب الى حدوث كساد شديد في مصر، إذ طرأ هبوط حاد على اسعار القطن، وهو المحصول الرئيس لمصر، في بداية الحرب، مما الحق خسائر فادحة بالمزارعين وعلى الرغم من ان اسعار القطن عادت الى الارتفاع نسبياً عقب ذلك، الا ان المزارعين لم يجنوا اية فائدة من هذا الارتفاع، لعوامل، منها تدخل السلطات البريطانية في تحديد اسعاره إذ فرضت سعراً للقطن يقل كثيراً عن سعره الحقيقي، ووضعت قيوداً على تصديره، كحصر عمليات التصدير في ايدي فئة قليلة من التجار الاجانب.

كما عانى الشعب العربي في مصر من ارتفاع شديد في اسعار السلع الاستهلاكية، وبخاصة اسعار الحبوب والمنسوجات والوقود.(٢) ولم تقف معاناة المصريين عند هذا الحد بل تجاوزتها الى سوء معاملة القوات البريطانية لهم.

ب ـ العلاقات المصرية البريطانية بين الحربين :

ترقب الشعب العربي في مصر بفارغ الصبر انتهاء الحرب، على أمل ان تتحقق مطالبه في الاستقلال، لاسيما وأن مبدأ حق الشعوب في تقرير مصائرها الذي كان قد اعلنه الرئيس الامريكي ولسن، جذب انتباه المصريين، وبعث فيهم الامل وغدوا ينتظرون أن تطبقه بريطانيا.(٣)

لكن ماحدث هو ان بريطانيا لم تغير في شيء من سياستها إزاء مصر عقب الحرب، وعلى العكس من ذلك كانت المؤشرات تدل على أن بريطانيا في سبيل إحكام سيطرتها على مصر، بدليل الزيادة المطردة في عدد الموظفين البريطانيين في الاجهزة الحكومية في مصر. اذ قفز عددهم من ثلاثمائة موظف في عام ١٨٩٨، إلى الف وسبعمائة موظف في عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠.(٤) وكذلك اعتزام بريطانيا اصدار

جديدة من شأنها تكريس وجودها في مصر . بل حاولت انزال مصر الى مرتبة المستعمرة . كما يتضح ذلك من مشروع الدستور الذي اعده وليم برونيت .(٥)

وعلى اية حال . شهدت فترة الحرب العالمية الاولى تطورات مهمة مثل انشاء مملكة عربية في الحجاز ، وتأهب فيصل بن الحسين لتمثيل العرب في مؤتمر الصلح المزمع عقده في باريس لتسوية مشاكل الحرب ، وصدور التصريح البريطاني - الفرنسي الخاص بسوريا والعراق في اوائل تشرين ثاني عام ١٩١٨ .(٦) وكذلك تصاعد المد التحرري في العالم ، وحصول عدد من الأقطار على استقلالها . وانتشار مبدأ حق تقرير المصير .

حملت التطورات آنفة الذكر الحركة الوطنية في مصر على العمل . إذ عقد عدد من القادة والساسة المصريين سلسلة من الاجتماعات منذ اوائل عام ١٩١٨ . تداولوا فيها مستقبل مصر بعد انتهاء الحرب . ونظراً لظروف الحرب . كانت الاجتماعات تعقد بصورة سرية وغير منتظمة . وكان بين الذين اسهموا فيها سعد زغلول . وعدت تلك الاجتماعات بمثابة نواة اثمرت عن تأسيس حركة الوفد المصري .

ومهما يكن من أمر . فقد تألف وفد مصري من ثلاثة اشخاص برئاسة سعد زغلول . وطلب في ١١ تشرين ثاني عام ١٩١٨ من ريجنلد ونجت . المندوب السامي البريطاني في مصر تحديد موعد للاجتماع به بهدف التباحث في امكانية سفر وفد مصري الى لندن لعرض مطالب بلاده على انظار الحكومة البريطانية . وانعقد الاجتماع بعد يومين من تقديم الطلب . حضره عن الجانب المصري تسعة اعضاء برئاسة سعد زغلول . طرحت خلاله مطالب مصر . وكانت تتركز في الاستقلال التام . والغاء الاحكام العرفية . ورفع الرقابة عن الصحف والمطبوعات . وفي اثناء ذلك اقلح الوفد في اضفاء الصفة الشرعية على تمثيله للشعب بأن حصل على توكيل به . ولو ان السلطات البريطانية تصدت لهذه العملية وحاولت عرقلتها . .

طلب سعد زغلول في ٢٠ تشرين ثاني عام ١٩١٨ . الى قيادة الجيش البريطاني - بوصفها الجهة المسؤولة عن منح تراخيص السفر نظراً لسريان مفعول الاحكام العرفية - السماح له ولزملائه بالسفر الى بريطانيا لكن قيادة الجيش رفضت الاستجابة لطلبه واقترحت بدلاً من ذلك ان يقدم الوفد مقترحاته الى المندوب السامي مباشرة واشترطت فيها الاّ تشكل اي تدخل في نظام الحماية .

رفض الوفد الاقتراح ورفع مذكرة احتجاج [illegible]
فيها موقف القادة العسكريين البريطانيين كما اعتبر مرور [illegible]
مصر وتطلعهم على برلمانها وعلى موقف [illegible] البريطانية من
الرأي العام الأمريكي واسفر بالشعب [illegible] الحرية [illegible]
في حضور مؤتمر الصلح بباريس

كانت بريطانيا قد رحبت في الوقت نفسه بتصريح الوفد [illegible]
باشا رئيس الحكومة المصرية بالسفر إلى لندن حيث كان يتولى [illegible]
الحكومة البريطانية بعد استقالة مصطفى [illegible] وقد دفع هذا [illegible]
استقالة حكومته إلى الاستقالة [illegible] مطلع كانون أول عام [illegible]
قبولها في حينه فقد تدخل [illegible] السامي البريطاني في [illegible]
السلطان بعدم قبول الاستقالة فبقيت معلقة

وخلال ذلك استمعت الحكومة البريطانية منذ وصولها [illegible]
هذا رشدي باشا بكل ما في وسعه لاقناع حكومته بالموافقة على [illegible]
رسمه عدلي بكل وناشد المندوب السامي رشدي باشا أن يعلن [illegible]
حالة نجاح مساعيه لكن رشدي لم يرتح للموافقة على ذلك أن تطلق حرية [illegible]
أوربا لكل الراغبين في السفر، وبأثر وصوله رد الحكومة البريطانية في [illegible]

وعلى أية حال وافقت الحكومة البريطانية على السماح لرشدي باشا [illegible]
بكين وعرضها والسفر إلى لندن في حين غادرت سفير [illegible] فما كاد [illegible]
الأول قد استقالة حكومته في أول آذار عام ١٩١٩ وقبلها السلطان في [illegible]

اجتمع الوفد المركزي مذكرة رفعها إلى السلطان على قبول استقالة وزارة رشدي باشا
وعقدا بمثابة استسلام للسياسة البريطانية الهادفة إلى تطويع الشعب العربي في
مصر وعطل الوفد من تكليف رشدي باشا من جديد بتشكيل الوزارة ذكر
الشعب لتحاول الاحتجاج كما رفع الوفد في [illegible] من العام نفسه مذكرة إلى
رؤساء الدول الأجنبية في مصر احتج فيها على منع بريطانيا حضور ممثلين عن
مصر في مؤتمر الصلح ومصادرتها [illegible] على رشدي باشا الشهير بالسفر إلى
وبالطبع لم تلق المذكرة المرفوعة على [illegible] المذكرة في [illegible]
لندن في حشود ضخمة وزعت في مختلف أرجاء مصر [illegible] الوفد إلى أن يشرع [illegible]
في جمع الشعب إلى تأييد الوفد والوزارة المستقيلة

وتوالى وصول وفود تمثل الشعب